التواصل الطلابي من خلال نشرة مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد في تونس (1931)

Student communication through the bulletin of the North African Muslim Students Conference held in Tunisia (1931)

دة. عايدة حباطي. أستاذ محاضر (أ) قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة

habbati.aida@gmail.com
habbati.aida@univ-emir.dz

الملتقى الدولي: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية،

تنظيم: مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة جامعة باتنة 1، بالتعاون مع مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منستير.

التاريخ: 29 30 أفريل 2024

الملخص:

شكل النشاط الطلابي أحد أوجه التواصل السياسي والثقافي بين طلبة المغاربة، ومن مخرجات هذا التواصل تشكيل جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي كرست التقارب الثقافي والوطني الوحدوي في طرح مختلف القضايا التي أصبحت جزءا من الوضعية الاستعمارية التي تعيشها الأقطار الثلاث في سلسلة مؤتمرات عمل الاستعمار على التصدي لانعقادها، ومن ذلك مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد في تونس (1931) الذي حضره مجموعة من الطلبة، وشهد عدة تظاهرات وألقيت فيه محاضرات التي تضمنتها نشرية المؤتمر. التي ستكون موضوع الورقة البحثية، التي جاءت تحت عنوان **التواصل الطلابي من خلال نشرة مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد في تونس (1931)**. نتساءل فيها عن ظروف وملابسات انعقاد مؤتمر تونس؟ ومدى تفاعل المحاضرين فيه مع القضايا الثقافية والوطنية المعاصرة؟

الكلمات المفتاحية: الطلبة– تونس– مؤتمر شمال إفريقيا– النشاط الثقافي– النشاط الوطني

Abstract :

Student activity constituted one of the aspects of political and cultural communication between Moroccan students, and one of the outcomes of this communication was the formation of the North African Muslim Students Association, which established unitary cultural and national rapprochement in raising various issues that became part of the colonial situation experienced by the three countries in a series of conferences that colonialism worked to confront. This includes the North African Muslim Students Conference held in Tunisia (1931), which was attended by a group of students. It witnessed several demonstrations and lectures were given in it, which were included in the conference's bulletin. Which will be the subject of the research paper, which came under the title Student Communication through the Bulletin of the North African Muslim Students Conference held in Tunisia (1931). We wonder about the conditions and circumstances of holding the Tunis conference? To what extent do its lecturers interact with contemporary cultural and national issues?

Keywords: students

Tunisia - North African Conference - cultural activity - national activity

مقدمة:

لم يكن النشاط الطلابي يقل أهمية وفاعلية في نضال الشعوب العالم المستعمرة، سواء كان سلميا بمشاركاتهم في الحياة السياسية بهيأتهم الطلابية وخطاباتهم وبرامجهم أو عسكريا. فعبرت هذه الفئة الاجتماعية المتعلمة عن حضورها في بناء الأوطان.

كان نشأة الحركات الطلابية المحلية، نتاج لتشبع الطلبة بأفكار وإيديولوجيات مختلفة، جمعهم قهر اجتماعي ووضع استثنائي استعماري، وعنصرية طبقتها المؤسسات التعليمية بينهم وبين أقرانهم من الفرنسيين والأوربيين. فشكل نشاطهم جبهة من جبهات عكست تعبئة كل عناصر المجتمع أمام السياسة الفرنسية. وأمام الامتداد الاستعماري لهذه الأخيرة لكل أقطار الشمال الإفريقي، وتشابه وضعياتهم ومعانتهم التي نقلوها حيثما رحلوا وارتحلوا في الأوطان بما في ذلك أرض العدو. قربتهم ووحدت بينهم في جمعيات؛ كجمعية شمال إفريقيا التي ناقشت في مجموعة من المؤتمرات مواضيع مختلفة عكست نشاط طلابي واهتمامهم ومعايشتهم لواقعهم في ظل وضعية استعمارية. فكانت النشرة

الأولى لمؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد في تونس (1931) ، التي نحاول خلال هذه الورقة البحثية أن نحيط بتفاصيلها من خلال محاور الآتي ذكرها:

- النشاط الطلابي الجزائري وتونسي؛
- جمعية طلبة شمال إفريقيا؛
- المؤتمر الأول لجمعية شمال إفريقيا؛

أولا– النشاط الطلابي الجزائري وتونسي:

يعد النشاط الطلابي الجزائري والتونسي أحد أوجه الكثيرة في التلاقي التونسي الجزائري، هذين القطرين الذين جمعتهما عوامل متداخلة قوت أواصر الأخوة والروابط الاجتماعية والحضارية، التي وطدت اندماجهم بطريقة سلسة. كان فيها التمازج والتلاقي الروحي والعاطفي والثقافي بين الجزائريين والتونسيين؛ كالقرب الجغرافي ووحدة التاريخ والمعتقد واللغة والعادات والتقليد وروابط ثقافية ازدادت قوتها ومتانتها مع الاحتلال الفرنسي، فكانت موطنا للاستقرار للجزائريين فرار من البطش الإدارة الاستعمارية. التي كانت تونس بدورها قد ألحقتها بدول المستعمَرة بعد خمسة عقود من احتلال الجزائر.

عايش مغاربة شمال إفريقيا بما في ذلك الجزائر وتونس أوضاعا متقاربة أثناء الهيمنة الاستعمارية إلى حد كبير على اختلاف النمط الاستعماري ومسمياته بين الاحتلال والحماية، هذا الأخير أفضت تداعياته على كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

خلفت المنظومة التربوية الفرنسية فراغا فكريا، خاصة في الجزائر، بأن حطمت فيها فرنسا كل المؤسسات التعليمية القاعدية التي حافظت لقرون على اللغة العربية والدين الإسلامي، بأن أوجدت تعليما يتناسب مع سياسة الإفراغ والملء بما تماشى مع الهيمنة الفكرية. وإن كان ما قدمته لا يعكس بأي حال ادعاءاتها الحضارية، ولا حاجة الجزائريين للعلم. فاقتصر في المرحلة الابتدائية (13.291) طفل مقابل (72.995) [1] من الفرنسيين سنة 1927، وعرف زيادة مضطربة سنة 1929 (61.678) [2] وبنسبة (31.453) سنة 1937[3]. وقد تناقص أعداد هؤلاء التلاميذ على قلتهم مقارنة بالتعداد السكاني، وبالأطفال الذين بلغوا مرحلة التمدرس، بشكل ملفت في المرحلة الثانوية

---

[1] Annuaire statistique de l'Algérie, année: 1927 , p27 - 1929 , p30 - 1931 , p127.
[2] Ibid, année: 1929 , p30.
[3] Ibid, année: - 1937 , p 144.

التي كانت غير مجانية وبالتالي غير متاحة للجميع، إلا من فئات اجتماعية ميسورة الحال، وهو ما بينته الإحصاءات الرسمية الفرنسة من خلال الإحصاءات السنوية (Annuaire statistique de l'Algérie)، حيث اقتصر سنة 1928(690) جزائري مقابل (10.850)[1]من الفرنسيين، وتضاءل هذا العدد في مرحلة التعليم العالي الذي بلغ في نفس السنة ما يقارب (72) [2] طالبا على مستوى كل التخصصات التي كانت متاحة أمام الجزائريين خاصة منها الشعب الأدبية وتأتي الشعب العلمية بدرجة أقل.

لم يكن الوضع التعليمي في تونس أفضل حال، حيث سجلت مدارسها في المرحلة الإبتدائية 12.000، من مجموع (350.000)تلميذ، وهي نسبة لا تزيد عن 3.4 % [3]وإن كان الاختلاف واضحا بن المعدلات المسجلة بينها وبين الجزائر التي عرفت احتلالا استيطانيا على خلاف الحماية ، وقد عرفت المراحل التعليمية اللاحقة تراجعا في هذه النسب خاصة في مرحلة الثانوية والجامعية.

افتقرت الجزائر لمؤسسات ومراكز علمية بمكانة الزيتونة والقرويين والأزهر، مما جعل نخبتها المتعلمة بمشارب محافظة بأصول لغوية عربية توجه أبصارها خارج الديار، وإن شهد النصف الأول من القرن العشرين من تأسيس مدراس ومعاهد لعبت دورا موازيا للمؤسسات التعليمية الفرنسية، بالإضافة تأخر تأسيس سرح جامعي لمواصلة التعليم العالي (1908) وبطء مخرجاته قلتهم العددية من المتخرجين. بينما عرفت تونس انفتاحا على الغرب بفضل الإصلاحات التي عجلت بها النخب التونسية بعد أن اصطدمت جارتها الجزائرية صداما عسكريا وحضاريا بين الشرخ بين حضارتين مختلفتين فأنشأت المعهد الصادقي[4] (24 فيفري1875) التي كانت منفتحة على اللغات الأجنبية (الفرنسية والإيطالية، التركية والعلوم العصرية.[5] انفتح فيها المجتمع التونسي على الحياة العصرية. إلى

---

(1) Ibid, année :1928 , p63.

(2) Ibid, année :1928 , p.65.

(3) H.L.M Obdeijn, L'enseignement de l'histoire dans la Tunisie modern (1881-1870), Tiburg, Hollande,1975, p117.

(4) أحمد القصاب، **تاريخ تونس المعاصر**، (**1881–1956**)، تع. حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986، ص291.

(5) الخوجة بن مُحَمَّد، **صفحات من تاريخ تونس**، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص55.

جانب تأسيس الجمعية الخلدونية (1896)، وفق مناهج وبرامج عصرية[1]. وقد احتضنت العديد من الفعاليات والنشاطات.

وقد أفرزت الأجواء العامة في كل من الجزائر وتونس حالة استثنائية ألقت بظلالها على الحياة الفكرية، جعل عددا من الطلبة يغادرون الديار إلى جهات أخرى لاستكمال مسيرتهم التعليمية، خاصة الجامعات الفرنسية. وحملوا معهم قضايا وهموم شعوبهم حيث حلوا. كما وحدت وقربت بينهم بعيدا عن ديارهم الأصلية.

الملاحظ العامة أن هجرة الطلبة الجزائريين والمغاربة عموما إلى فرنسا خلال القرن 19 تختلف عنها القرن العشرين فقد تحكمت عوامل انتقائية في اختيار الطلبة، فكانوا من طبقات اجتماعية معينة، اتخذ منهم الجهاز الإداري الاستعماري مطية لعملية الاستلاب والإدماج. بينما اختلف عنهم المهاجرون من الطلبة في القرن العشرين؛ إذ أدرك هؤلاء أهمية التعليم، كوسيلة لكسر الجهل والأمية، وجعله وسلية للمطالبة بالحقوق، كما أن هجرة الطلبة في هذه المرحلة اختلفت من حيث الكمر والنوع ، فعرفت الجامعات الفرنسية توافد أعداد إضافية إلى جامعتها، ولم ينتموا إلى عائلات ثرية، وإنما كانوا في عمومهم ينتمون إلى طبقة الفقراء وينحدرون من عائلات ريفية، كان يرنو أغلبهم إلى تغيير مكانته الاجتماعية والمشاركة السياسية وهو ما أكده فرحات عباس سنة 1927[2]، وهم من أبرز الطلبة النشطين في هذه المرحلة.

إن الحديث عن النشاط الطلابي المهيكل يجرنا حتما للحديث عما كان يعانيه الطلبة من ظلم وعنصرية بينهم وبين أقرانهم من الأوربيين والفرنسيين الذين عاملهم معاملة الغريب في أوطانهم انتهت بطردهم من تنظيماتهم الطلابية (جمعية الطلبة الفرنسيين). وإن لم تعلم البدايات الأولى للتنظيمات الطلابية، فيقرن تاريخ (1877) التنظيم في الحرم الجامعي في فرنسا، بينما تاريخ 1907 الإتحاد الوطني للتجمعات الطلابية بفرنسا[3]. بينما ارتبط ظهور التنظيم الطلابي الأول للجزائريين بتأسيس جمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا (1919) وجمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا

---

(1) مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ، **أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية**، دار السلام، القاهرة، 2006، ص89-91.

(2) Pervillé Guy, **Les étudiant algériens de l'université Française (1880-1962)**, Paris, casbah Edition, 1995, p32 .

(3) عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية، (1871-1962)، المشارب الثقافية والأيديولوجية، ط2، منشورات المتحف الوطني، 1985، ص 45.

(A.E.M.A.N.F) بفرنسا سنة1927 [1]، وقد أكدت الجمعية عن طابعها التعاوني الطلابي بأبعادها الثقافية والرياضية، لكن هذا لا ينفي عن الخوض في المسائل سياسية رغم استنكاره لهذا الميدان، إلا أنها وجدت نفسها مجبرا على الطرح السياسي ومناقشته لمختلف القضايا المطروحة على الساحة السياسية. وبدورهم أسس الطلبة التونسيون في فرنسا (1920) جمعية الطلبة التونسيين الدارسين بباريس وقد سبقها في تونس جمعية تلاميذ الزيتونة ، كما أسس الطلبة المغربيين الحركة الطلابية في تطوان بعد الثورة الريفية (1926) [2]. وقد اتسمت هذه التنظيمات في عمومها بقضايا قطرية.

ثانيا– جمعية طلبة شمال إفريقيا:

شكلت فرنسا ولعقود عديدة بالنسبة للمغاربة الذين كانت بلدانهم المحلية تحت نير احتلالها ملجأ لعدد معتبر من مهاجريهم على اختلاف فئات الاجتماعية عمالا ومجندين وطلبة، وكانت أعدادهم تتضاعف بشكل مستمر. وصاحبه مباشرتهم لمجموعة من النشاطات المختلف، كما كانت فرنسا خلال هذه المرحلة تشكل نواة الأولى للأحزاب الوطنية المغاربية، فكانت باريس العاصمة الفرنسية تعج بالأفكار والإيديولوجيات الوافدة، فكانت مسرحا مفتوحا جمع النقيضين مستعمِر ومستعمَر، وموطنا ميدانيا لكسب الخبرة في ممارسة النشاطات الجمعوية والنقابية والحزبية. حيث توفرت في هذه الأخيرة ما لم تتوفر عليه بلدانهم المنفرة لعدة العوامل متداخلة.

شهدت فرنسا توافد الطلبة المغاربة الذين اقترنت بأسباب ودوافع ظاهرة وأخرى خفية؛ فإلى جانب متابعة الدراسة بجامعاتها، كانت فرنسا بالنسبة إليهم نقطة تحول في تحقيق مشروع حراك اجتماعي، لم يجد في الجامعات المحلية مناخا مناسبا لاجتياز عتبة التمييز العرقي والثقافي والاجتماعي في تقييم علمهم وتخصصاتهم. [3] وإن شكلوا في الحقيقة أقلية مقارنة مع أعداد العمال الذين فاق تعدادهم مئة ألف، والمجندين الذين ارتبط وجودهم بأجواء الحرب العالمية الأولى. فقد شهدت فرنسا توافد أعدادا من الطلبة التونسيين ؛ التي كانت في البداية قبل الحرب العالمية الأولى بنسبة ضئيلة

---

[1] المرجع نفسه، ص 45.

[2] أحمد مريوش، **الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير، 1954**، أطروحة الدكتوراه تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006، ص 84.

[3] مُحَمَّد ياحي، **النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830–1962)**، منشورات وزارة المجاهدين، 2007 ، ص 175.

جدا، بينما عرفت اتفاعا نسبيا مع مطلع العقد الثالث من القرن العشرين؛ إذ سجلت التخصصات الحقوق إقبال (22 طالبا)، وكلية الطب (35) طالب، والتعليم الفني (13)طالب، العلوم الرياضية طالب وحيد، وسجلت كلية الآداب 4طلبة تونسيين، كما استقبلت الجامعة الفرنسية في الصيدلة (10)طلبة، و(5)طلاب في طب الأسنان، وتفرد طالب تونسي واحد على مدرسة التجارة العليا [1]

بينما سجلت الإحصاءات المتعلقة بالطلبة الجزائريين، تراجعا عدديا مقارنة مع أقرانهم من التونسيين، حيث كانت النسب شبه معدومة قبل 1908، ولترتفع سنة 1910 إلى 25 طالبا في الطب والمحاماة أو الكليات العسكرية و61 طالب 1916، وارتفعت هذه المعدلات بين (1928-1929) إلى 100 طالب، وبلغت حدود 142 طالب بين (1940-1941)، لتبلغ ما بين (1945-1946) 360طالبا، ليعرف عشية الثورة زيادة بلغت 589 [2]. وهو تطور بطيء نسبيا في نسب الطلبة الجزائريين الوافدين إلى فرنسا، من أجل استكمال مسارهم العلمي، مقارنة بالطلبة التونسيين. لكن إذا قارنا هذه الإحصاءات مع نسب الجزائريين في هذه التواريخ نجد أنها جد منطقية لوضعية تعليمية عامة خاصة التعليم العالي. كما أنها تعتبر نسبة قليلة جدا مقارنة بالكم الهائل من الجزائريين عملا ومجندين في نفس المرحلة.

لكن هذه الإحصاءات نجد أنها متباينة مع جاء في نشرة السنوية لـجمعية طلبة شمال إفريقيا ما بين (1931-1932)، إذا قدمت ما نسبته (206) طالبا مغاربيا في فرنسا، منهم (171) تونسيا، (21)جزائري و(14) طالب مغربي[3].

اقترنت هجرة طلبة الشمال الإفريقي إلى فرنسا، وفق صيرورة تاريخية حددتها وضعية تعليمية محلية حددتها المؤسسات التعليمية الفرنسية ، والأساليب التجهيلية التي كانت أحد أبرز معالم الحركة الاستعمارية الفرنسية في الشمال الإفريقي، بالإضافة إلى أسباب ودوافع ظاهرة وأخرى خفية؛ فإلى جانب متابعة الدراسة بجامعاتها، وتكوين أنفسهم وفق آليات عالمية تسمح لهم بالارتقاء علميا والانفتاح على أروبا رمز العصرنة ، كانت فرنسا بالنسبة إليهم نقطة تحول في تحقيق مشروع حراك

---

[1] **نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين**، تونس، 1931، المطبعة الأهلية، تونس، ص18.

[2] عبد الله حمادي، مرجع سابق، ص18

[3] لخضر عواريب، **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، (1927-1955)**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والغجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص23.

اجتماعي، لم يجد في الجامعات المحلية مناخا مناسبا لاجتياز عتبة التمييز العرقي والثقافي والاجتماعي في تقييم عملهم وتخصصاتهم. [1]فمن تجليات هذه العنصرية أن فرنسا لم تصنفيهم على اعتبارهم أجانب كل حسب البلاد القادمين منها التي كانت في الغالب مستعمراتها، ونما كان تقسيمهم وتصنيفهم وفق تصنيف اثني يقوم أساسه العنصرية الدينية والعرقية بين الطلبة المسلمين وغير المسلمين، وتوفير نفس الحظوظ لكل الطلبة. بدورهم شكل الطلبة على اعتبارهم فئة اجتماعية متميزة قوة، لا تقل شأنا عن القوى السياسية أخرى بما في ذلك العمال، بعد أن أدركوا أن التعليم أصبح وسيلة للمطالبة بالحقوق والمساواة. وكانوا النخبة التي أعطت لقضياها المحلية بقيادات سياسية محنكة بتجارب مبكرة.

وتعتبر جمعية طلبة شمال إفريقيا من بين النشاطات الوحدوية المبكرة، جاء تشكيلها في سياق تآزري وتقارب وحدوي مغاربي جمع بين الطلبة الجزائريين والتونسيين والمغربيين، وامتداد لمحاولات سابقة بينهم على مستوى النخب التعليمية والفكرية والسياسية منذ مطلع القرن العشرين، وقد تتبعت الدراسات المتعلقة بالنشاط الوحدوي للمغاربة عبر أقطار كثيرة التي استقروا بها بعيدا عن ديارهم الأصلية، لا يسعنا المجال هنا لذكرها.

جاء تشكيل هذا التنظيم الطلابي في سياق التشبع بالعمل النقابي، وكحراك الطلابي يتقاسمون ما يعانيه الطلبة في بلدانهم الأصلية، إضافة إلى مواردهم المالية ما جعلهم يبحثون عن مجال لتوفير نفقاتهم الدراسية التي كانت مكلفة، تصل إلى (12000) فرنك فرنسي، يستفيد غيرهم من الأوربيين من منح دراسية، فقرروا تأسيس جمعية تدافع عن الطلبة المغرب العربي الذين تجمعهم وحدة روابط دينية ولغوية وعادات وتقاليد[2] وصنفها عبد الله حمادي وفق مشارب ثقافية لغوية وإيديولوجية، بأن جعل جمعية طلبة شمال إفريقيا من ثمار النخبة المفرنسة. وتم انتخاب أول مكتب سياسي لها برئاسه الطالب التونسي سالم الشاذلي، والطاهر صفر نائبا عنه، وأيضا أحمد بن ميلاد من أصول تونسية

---

[1] محمد ياحي، **النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)**، منشورات وزارة المجاهدين، 2007 ، ص 175.

[2] لخضر عواريب، **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية**، مرجع سابق، ص27.

أيضا، والطالب الجزائري أحمد كسوس[1]. وحصلت على اعتمادها من مصالح الشرطة الفرنسية (28 ديسمبر 1927)، وإعلانها في الجريدة الرسمية في الفاتح من نوفمبر 1928[2].

رسمت الجمعية مجموعة من الأهداف كانت ترنو إلى تحقيقها منها المعلنة، الآنية، ارتبطت الحياة الطلابية في فرنسا[3]، ومن ذلك نذكر:

-تمتين روابط المودة والتضامن بين الأعضاء عن طريق إنشاء ناد ومكتبة وإصدار مجلة وعقد اجتماعات دورية.

-تشجيع شباب بلدان شمال إفريقيا للمجيء إلى فرنسا لإكمال الدراسة الجامعية.

- .تسهيل إقامتهم بفرنسا بواسطة مدهم بإعانات وقروض وإنشاء دار لسكناهم.

قد تمكنت الجمعية على صعيد النشاط العلمي الطلابي المغاربي من توطيد وشائج الأخوة بين الطلبة المغاربة ووحدتهم ككتلة طلابية تدافع عن حقوقهم الأدبية والمادية. بأن خلقت أجواء من التعاون فيما بينهم كوحدة دينية ولغوية .كما شكلت كتلة ثقافية بأبعاد نقابية أمام كتل أروبية ويهودية في فرنسا.

ومنها ما كان خفيا جاء مع الصيرورة التاريخية وروابطهم بمختلف التيارات السياسية التي تجاذبتها كقوة خاصة من الأحزاب الوطنية المغاربية، وعلى رأسها نجم شمال إفريقيا الذين ربطتهما علاقات وطيدة، ويرى مالك بن نبي في مذكراته على اعتباره أحد الطلبة الجزائريين المهاجرين، أن هذا العلاقات ازدادت قوة متانتها بإحياء الجمعية للنجم وإعادة بعثه من جديد والحضور إلى مهرجاناته والمشاركة في صحفه؛ خاصة جريدة الأمة. بدوره شارك النجم الطلبة في فرنسا مؤتمراتهم[4]. يبدوا أن قرب المسافة الجغرافيا لنشاطهما قد قرب المسافات الإيديولوجية، كما لا يمكن نفي أيضا مساعي النجم في محاولة استقطاب كل الفئات الاجتماعية تحت جناحه. وهذا يجرنا حتما لطرح إشكالية مشاركة الطلبة في الحياة السياسية ومدى تجاوبهم مع القضايا السياسية؟

---

[1] حسين عبد اللاوي، **هجرة الطلبة الجزائريين إلى فرنسا (1900–1960)**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)، منشورات وزارة المجاهدين، 2007 ، ص 157.

[2] لخضر عواريب، مرجع سابق، ص27.

[3] مرجع نفسه، ص29.

[4] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد قرن، القسم الثاني الطالب**، ط1، دار الفكر. دمشق، 1970، ص245- 249.

إن نفت الجمعية عن نفسها المشاركة السياسية، إلا أن لها أن تناقش قرارات الإدارة الفرنسية الصادرة في حق المغاربة في فرنسا، كما جاء على لسان رئسها سالم الشاذلي، وهو ما أكده أيضا حسن الوزاني في مذكراته، بأن الجمعية تجاوزت التآزر والتضامن إلى كون الطلبة أصبحوا أداة فعالة في معترك السياسية التي تخص الشمال الإفريقي[1] إلا أن طبيعة المرحلة وجدت نفسها مجبرة على الخوض فيها ضمانا لألفة ووحدة أعضائها، بإثارة إشكالية الجنسية الفرنسية التي أخذت حيزا من نقاشاتها.[2] وهي القضية التي انسحب على إثرها بعض الطلبة المتجنسين. إلى جانب طرح أعضاء جمعية طلبة شمال إفريقيا لمسألة الاستقلال أقطار المغرب العربي تحت تأثير احتكاكهم بالنجميين وحضور تجمعاتهم.

وهذبت الحركات الإصلاحية جمعية الطلبة بما في ذلك علاقتها بالزيتونيين في تونس والعلماء في الجزائر، بأن وطدت انتماءاتهم العربية وهوياتهم اللغوية وإرثهم الإسلامي.

ثالثا– المؤتمر الأول لجمعية شمال إفريقيا:

تعد المؤتمرات جمعية طلبة شمال إفريقيا من أبرز نشاطات الجمعية، حيث عقدت مجموعة من المؤتمرات في كل مؤتمر يتم اختيار مدينة من المدن المغاربية لتكون مقرا لعقدها رغم الصعوبات التي واجهتهم من الإدارة الاستعمارية، وشكلت نشرات مؤتمرات من مخرجات هذه المؤتمرات، وتعد مصدرا هاما في تتبع نشاط هذه الجمعية، والتواصل الثقافي بين مختلف أطياف النخب المتعلمة في الأقطار المغاربية، وقربت بين المشارب الثقافية ونخب التقليدية والعصرية. من أهمها نشرة المؤتمر الأول (1931) في تونس.

فقد انعقد المؤتمر الأول في مدة يومين (20–22 أوت)[3] بقاعة الخلدونية بحضور وفود من الأقطار الثلاث. وقد ركزت ديباجة النشرة التي حررها أحمد بن ميلاد – الكاتب العام للمؤتمر– على أهداف المؤتمر الأول؛ كخلق أجواء من التعارف وتبادل الآراء في المسائل الحيوية (التعليم)، وتكثيف التضامن بين المعاهد الإسلامية والمكاتب العصرية[4].

---

[1] مُحَمَّد حسن الوزاني، **مذكرات حياة و جهاد ، التاريخ السياسي للحركة التحريرية المغرب** ج1، ط1، ب ت، ص450-451.

[2] حسين عبد اللاوي، مرجع سابق، ص 158.

[3] نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين، مصدر سابق، ص3.

[4] المصدر نفسه ص3.

إن طبيعة الحضور توحي بطبيعة النقاشات التي تكون في المزاوجة بين الإصلاح والانفتاح والعصرنة؛ فقد حضر جلسات هذا المؤتمر وفودا من الدارسين والمعلمين وطلبة كليات بفرنسا والجزائر والجامع الأعظم بتونس، وجامعة القرويين بالمغرب والمدارس الإسلامية وتلاميذ المدارس الثانوية واقتصرت المداخلات والمناقشات على طلبة التعليم العالي. بينما تكتفي البقية بالحضور.

شهد المؤتمر توافد وفودا من الطلبة من الأقطار الثلاث؛ كانت غلبة فيهم للقطر المنظم (تونس)؛ حيث حضره 100من الأعضاء المشاركين وهم من الطلبة التعليم العالي، ولهم الحق في التصويت، بالإضافة (79) تلميذا من الجامع الأعظم والمدارس الثانوية بتونس. إلى جانب وفد الجزائر الذي ترأسه فرحات عباس، وكان رأس الحركة الطلابية في الجزائر (جمعية اتحاد طلبة إفريقيا الشمالية المسلمين)، وبصفته أيضا طالب في الصيدلة وبمعية وفد مشكل من محي الدين شرقي(حقوق)، الشريف بن الحاج سعيد (حقوق)، عبد الرشيد مصطفاوي (الأدب)، أبو علام علواش(حقوق)، عباس القلي (حقوق)، الهادي مصطفاوي (محامي). بينما أنفرد مُحَّد بن عبد الله بتمثيل المغرب الأقصى وهو طال قسم نهائي ديني من جامعة القرويين. [1]

نقلت نشرة المؤتمر الأول تفاصيل محاضر الجلسات والتقارير وتعقيبات التي كانت عقب جلسة. قد بينت الجلسة الافتتاحية التي ترأسها عبد الرحمان الكعاك رئيس الخلدونية وفرحات عباس ومُحَّد بن عبد الله، [2] في تأكيد لبعدها المغاربي. وأكد رئيس الجلسة على صعوبة المهمة والتحضير لمواجهة الصعوبات التي يعانها الطلبة المهاجرين في فرنسا على ح تعبيره المهمة صعبة والكف صفر والطريق مهول، لكن المستحيل لا أثر لها في الوجود. [3] بينما ألقى فرحات عباس كلمته باللغة الفرنسية عربها صالح بن يوسف؛ عبر فيها عن أسفه وعجزه عن الحديث بلغة غير اللغة الأجنبية التي ساقته الظروف لاستعمالها وأنها عبرة لمن أراد خدمة وطنه. ودعوة الحاضرين للعمل بجدية تثبت للفرنسيين بطلان نظرتهم للطلبة المغاربة. إلى كلمة الطالب المغربي وختمت الجلسة بقصيدة مطولة ألقاها الطالب الجزائري رشيد مصطفاوي في (59) بيتا. [4]

---

[1] **نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين**، المصدر السابق، ص5.

[2] المصدر نفسه، ص6.

[3] المصدر نفسه، ص6

[4] المصدر السابق، ص9-13.

قسم المنظمون المؤتمر إلى أبع جلسات، كل جلسة لها محور ضبط لها لجنة من المقررين والأعضاء المعاونون؛ تضمن جدول الأعمال دراسة محاور أربعة:

- التعليم العالي؛
-التعليم العربي؛
- التعليم الصناعي؛
- تعليم المرأة،

فكان التعليم المحور الرئيس لجلسات هذا المؤتمر لعلاقته الوطيدة بالنشاط الطلابي المعلن عنه جمعية طلبة شمال إفريقيا، بشقه العلمي والبيداغوجي. وتقاطع الحاضرين في هذه النقطة.

أثارت الجلسة الأولى التي ترأسها مُحَمَّد بن عبد الله وقرأ تقريريها كلا من عثمان صفر ومُحَمَّد بن حسن الوزاني الطالب السابق بمكتب الاقتصاد السياسي بباريس، وتلاه على الحضور صالح بن يوسف موضوع التعليم العالي. وزيادة المطردة لأعداد الطلبة في هذه المرحلة، وحاولوا الوقوف على نقاط ضعفه. ومن المسائل الشائكة التي أثارها التقرير الأول سياسية الكيل بمكيالين، بعدم اعتبار شهادة الصادقية على نفس درجة الشهادة الدولية والشهادة الجامعية التي تمنحها المؤسسات الجامعية الفرنسية، رغم تقارب البرامج. [1]

وقف المجتمعون على نقص الإعانات التي يحصل عليها الطلبة في الجامعات الفرنسية، وتمييز فيها بين الفرنسيين وغيرهم. وقدم تبعا لذلك مقترحات:

-زيادة في القروض الشرفية وتعميمها على كل التخصصات بما يتناسب مع المستوى المعيشي في فرنسا.

- السعي لرفع العراقيل وتسهيل سفر على الطلبة الجزائريين والإقامة فيها.
- المطالبة بمنح كل الحقوق للطلبة الجزائريين وفك الحصار عن تنقلاتهم العلمية إلى فرنسا[2].

خصصت الجلسة الثانية للحديث عن التعليم العربي، وركزت التقارير على التعليم العربي في الشمال إفريقيا. قد أخذت تقارير كل من الفاضل ابن عاشور، ومُحَمَّد بن عبد الله الذي قرأ تقرير

---

[1] نشرة، مصدر سابق ، ص16-19.

[2] المصدر نفسه، ص22-23.

علال الفاسي، وأبو علام علواش الذي بدوره تلا تقرير عبد الناصري الجزائري، حيزا كبيرا من محتوى النشرة [1].

اثبتت التقارير حاجة مغاربة إلى تحسين التعليم العربي التي كانت لقرون تشرف عليها مراكز علمية عريقة كالزيتونة والقرويين، وقد لعبت دورا هاما وحصن منيع في الحفاظ على هوية الأمة العربية على رأسها اللغة العربية. وركزت التقارير على ضرورة إصلاحه في برامجه وكتبه بما يتماشى مع متطلبات العصر من ثقافة حية وتفكير منتج.

وإن افتقرت الجزائر إلى مراكز بمكانة الزيتونة والقرويين، فقد ركز التقرير الجزائر على دور الزوايا وجهود جمعية العلماء المسلمين المؤسسة في عهد قريب من أشغال المؤتمر (ماي 1931)، والسياسية الاستعمارية بخلق مؤسسات ومدارس الرسمية في كل قسنطينة والجزائر وتلمسان، والذي لم يحفظ للعربية شيء يخرج فيها التلميذ بعد أربع سنوات لا يعرف من الحروف الهجائية ولا يضبطها. ولم توليه المراحل الثانوية الفرنسية والتعليم العالي، لذلك رأى صاحب التقرير أنه من العار أن يسمى تعليما[2]، لذلك فإن كانت أقطار الأخرى وجدت ما يحفظ للغة العربية ويحصنها، فإنها في الجزائر وجدت نفسها أمام ضربات السياسة اندماجية إستلابية، كانت فيها اللغة العربية الأولى من حيث الاستهداف.

ناقشت الجلسة الثالثة ترأسها مُحَّد الفاضل بن عاشور، ومقررها أحمد بن ميلاد التعليم الصناعي كحاجة ملحة لتنشيط الصناعة وحفظ الصنائع الأهلية، وأهمية مدارس التعليم الصناع، والجمعيات العلمية والحجر الاقتصادية ببث الدعاية لاستجلاب التلاميذ للتعاطي مع التعليم التجاري والصناعي[3].

وقد عكس هذا الطرح وعي الطلبة بواقعهم واستشرافهم لتحسن مستوى الاجتماعي والاقتصادي والخروج من حالة البطالة

أنهى المؤتمرون جلساتهم في جلسة الرابعة التي خصصت لتعليم المرأة ، برئاسة من عبد الرشيد مصطفاوي وقرأ تقريرها الصادق بوصفاره، الذي اعتبر تعليم المرأة من أهم المشاكل الاجتماعية[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص32-89.

[2] المصدر نفسه، ص81.

[3] المصدر نفسه، ص99.

[4] المصدر نفسه، ص100.

وهو طرح يواكب المرحلة التي عرفت صيحات بدأت تتعالى لإصلاح شأن المرأة العربية، في ظل انفتاح النخب المفرنسة على الغرب، وحركة الحديث التي قادتها تركيا إلى حد انفصام عن المورث الحضاري اختراق النصوص الشرعية. وظهور كتابات جديدة بما في ذلك كتاب امرأتنا في الشريعة والمجتمع لصاحبه الطاهر حداد (1930)

ركز التقرير على النموذج التونسي لوضع المرأة وحال تعليمها في القطر التونسي، وعاب التقرير على اقتصار في تعليمها على المدرسة الفرنسية، الوسط الذي ينشأ بنت مختلة عن وسطها الإسلامي هجينة في تربتها. والأدوار المنوطة بتأديتها وتناسب أنوثتها. وانتهى التقرير بما يجب على المرأة تعلمه، بالمزاوجة بين اللغتين ، مطلعة على قواعد التنظيم والنظافة والطبخ وهي مشترك بين المتعلمة والأمية، فمن المهم ان تتعلم البنت فن التدبير صحة وتربية الأطفال، وحرفة تحتاجها إن مال الزمان بها. تكون حافظة لنصيب من القرآن، ملمة بتاريخ بلادها[1].

رصدت النشرة الأجواء التي أعقبت المؤتمر من جولات للضيوف في الحاضرة ومأدبة التكريمات التي سادها أجواء ودية أخوانية والخطابات الختامية التي زاوجت بين التشكرات والأماني، وإتحاف الحاضرين بقصائد شعرية [2] وأنهت التوصيات على انعقاد المؤتمر التالي لطلبة في الصيف المقبل في الجزائر، ودعوة لحضورة على أن ينشر في الصحافة تاريخ انعقاده ومعلوم الاشتراك[3]. وهو المؤتمر الذي تم عقده في نادي الترقي 25-28 أوت 1932.

وقد اعتبر النشاط الطلابي الذي استقبلته الحاضرة التونسية حدثا بارزا غطت تفاصيله الصحافة الاستعمارية والتونسية وتناقلته الصحف المغاربية، أصبح تقليدا اتبعته الجمعية على توالي إلى غاية 1955. مع انقطاعه بين 1936-1939، نتيجة مضايقات عديدة.

ختاما لهذه الورقة البحثية يمكننا القول:

-النشاط الطلابي في الجامعة كان مجالا ميدانيا لتحضير نخبة سياسية وقيادات، لعبت دورا هاما في تسيير الحياة السياسية في الأقطار المغاربية، فكان النشاط الطلابي امتداد للنشاط الوطني، وقاعدة اعتمدت عليها نفس الأقطار في مقاوماتها الفكرية وثوراتها المحلية.

---

[1] المصدر نفسه، ص104-106.

[2] المصدر نفسه، ص109-123.

[3] المصدر نفسه، (الغلاف الخارجي للمجلة).

– عبرت التشكيلات والتنظيمات الطلابية عن وعي ونضج لدى النخبة تجاوزت فيها النخبة المغاربية المتعلمة مرحلة السكون، وعبرت عن حضورها في الحياة الثقافية والفكرية التي كانت في حد ذاتها مقاومة ونضال صامت واجهت فيها كتل طلابية عنصرية، غذتها الطبيعة الاستعمارية للاحتلال الفرنسي.

–مثلت جمعية طلبة شمال إفريقيا مجال فعالا في تواصل النخب المغربية وقربت بينهم، رغم بعد المسافة الوهمية التي خلقتها فرنسا بينهم، وعدم تقاربهم في أقطارهم الأصلية التي كانت بيئات اقصائية طاردة، وجمعتهم أرض العدو، بأن وحدت بينهم.

– استطاعت جمعية طلبة أن تتجاوز التعاون المعنوي، إلى التضامن المادي، بتقديم إعانات وقروض مادية للطلبة المعوزين.

– مكن النشاط الطلابي والمؤتمر الأول المعقد بتونس لجمعية طلبة شمال إفريقيا من توطيد الروابط الأخوية فيما بينهم بأبعاد مغاربية تعود إلى أصول جذورها العربية الإسلامية، باحتفالهم بالأعياد الدينية، والتصدير لثقافة عربية، وترويج للحضارة الإسلامية بإحياء ذكرى أعلامها ورجالها؛ كالاحتفالية الكبيرة التي نظمتها الجمعية للذكرى الألف لوفاة أبو بكر الرازي.

– يعتبر المؤتمر الأول المعقد بتونس لجمعية طلبة شمال إفريقيا، الأساس الذي شجع على عقد مؤتمرات سنوية رغم المعوقات التي وضعتها الإدارة الاستعمارية أمام اجتماعهم. بأن وضعت اللبنة الأولى في صرح النشاط الطلابي في الخارج وربطه بأقطارهم الأصلية، فكان بإمكانهم الانضواء تحت قوى سياسية فرنسية خاصة اليسارية منها وعقده في فرنسا. وهذا ما يؤكد ارتباطهم بوطنيتهم ورغبتهم الجادة في الدفاع عن الطالب المغاربي ككيان مستقل له حقوقه الكاملة.

– تجاوزت المطلبية التي احتوتها نشرة المؤتمر وفاعلياته القطرية الضيقة بأن دافع الطلبة بتحسين ظروف الطلبة المغاربة في الداخل، كما طالبت التقارير بفك الحصار والتضييق خاصة على الطلبة الجزائريين من طرف الطلبة التونسيين.

– جاءت تقرير المؤتمر شاملة لكل المراحل التعليمة، بكل فئاته، فلم يهمل عنصرا من عناصر المجتمع، وبطرح نقدي لواقع موروث عن ماضي الأمة قبل الفترة الاستعمارية بجمودها الفكري، وتمحيص لفترة استعمارية معاشة، مصحوبة بمقترحات تعكس نضج ووعي نخبوي تطالع أصحابه إلى إلى قيادة والمساهمة في تسيير شؤون بلدانهم .

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد القصاب، **تاريخ تونس المعاصر، (1881-1956)**، تع. حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986

- الخوجة بن مُحَمَّد، **صفحات من تاريخ تونس**، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

- مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ، **أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية**، دار السلام، القاهرة، 2006.

- عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية، (1871-1962)، المشارب الثقافية والأيدويلوجية، ط2، منشورات المتحف الوطني، 1985

- أحمد مريوش، **الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير، 1954**، أطروحة الدكتوراه تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006.

- مُحَمَّد ياحي، **النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)**، منشورات وزارة المجاهدين، 2007

- **نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين**، تونس، 1931، المطبعة الأهلية، تونس.

- لخضر عواريب، **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، (1927-1955)**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007.

مُحَمَّد ياحي، **النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)**، منشورات وزارة المجاهدين، 2007

- حسين عبد اللاوي، **هجرة الطلبة الجزائريين إلى فرنسا (1900-1960)**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

- مالك بن نبي، **مذكرات شاهد قرن، القسم الثاني الطالب**، ط1، دار الفكر. دمشق، 1970.

- مُحَمَّد حسن الوزاني، **مذكرات حياة و جهاد ، التاريخ السياسي للحركة التحريرية المغرب** ج1، ط1، ب ت.

Annuaire statistique de l'Algérie, année: 1927, 1928 ,1929, 1931,1937.

-H.L.M Obdeijn, **L'enseignement de l'histoire dans la Tunisie modern (1881-1870)** , Tiburg, Hollande,1975.
-Pervillé Guy, **Les étudiant algériens de l'université Française (1880-1962)**, Paris, casbah Edition, 1995